مكتبة المقتطف

كتابان في النقد[1]

١ — الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث — للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

٢ — على هامش الأدب والنقد — للأستاذ علي أدهم

ظفر هذا العام قبيل اختتامه بظهور أربعة كتب في النقد تمد في شرعة نقدنا دعامة طيبة تمهّد للكاتبين باللغة العربية أن يترسموا خطاها في ما ينقدون وفي ما يعقدون ويحللون. والكتب الأربعة هي: «النقد الأدبي — أصوله ومناهجه» للأستاذ سيد قطب، و«الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي، و«على هامش الأدب والنقد» للأستاذ علي أدهم، و«النقد المنهجي عند العرب» للدكتور محمد مندور. وهذه الكتب الأربعة وإن تفاوتت اتجاهاً ومنهاجاً، تأتلف في منحى واحد هو الرغبة الصادقة في الارتقاء بمهمة النقد حتى تسمو فوق مستوى الشخصيات، وتأبى على المطاعن والمثالب التي يألفها القارئ في كثير مما تطالعنا به الدوريات من نقد.

والكتابان اللذان نتعرّض لهما اليوم هما كتابا الأستاذين السحرتي وأدهم. الأول مفرد كله للشعر المعاصر، والثاني تغلب عليه العناية بالشعر القديم مع احتفاله إلى جانب ذلك بفصول أدبية تمتّ الى النقد بوشائج وصلات قوية.

وسفر الأستاذ مصطفى السحرتي مرسرعة ضخمة في الأدب الشعري المعاصر ليس لها في ما نعلم مثيل، تناول في فصولها نقد أكثر من خمسين شاعراً بين مصري

(١) ترتيب الكتابين حسب موعد ظهور كل منهما.

ولبنانيين وسوريين وعراقيين ومصريين ومهجريين . ولعلنا نقدر أن نذكر للقراء فلسطين نصيب في هذا البحث ، ونحسب ان هناك حتمة منهم ما كان يعني إغفاله .

وليست مهمة « النقد » في حدّ ذاتها فضيلة كتاب « الشعر المعاصر » وإنما مزية الكتاب المفضّلة هي درس مناهج النقد في الشرق وفي الغرب ، وتطبيق هذه المناهج تطبيقاً يقرب من الصواب على ما أنتجته قرائح الشعراء في السنوات الثلاثين او الاربعين الماضية. وقد انتهت هذه المهمة أن يضع تعبيرات لم تكن مألوفة من قبل للتوصل الى جديدة دعا إليها منهاج النقد . ومن تلك التعبيرات مثلاً « الموسيقى الأرشيتكتونية » و « الشعر المصور » و « موسيقى الجمل » و « انكماش الرومانتية » وما شابه ذلك .

***

وقد أورد الأستاذ السحرتي فصلاً من كتابه الحديث عن « الشعر السريالي المحرر » وساق أمثلة من هذا الشعر طرأت أخيراً على اللغة العربية . وقد تلوت هذه النماذج مثنى وثلاث ورباع فما ألفيت فيها « نكهة » كالتي يجدها القارئ حين يتلو شعراً ، بل لقد عجبت هذه العبارات المتراصة في غير معنى ولا موسيقى ولا وحدة مناسبة بين فقراتها ، وعجبت أن يعدّ الأستاذ السحرتي هذا اللون من الكتابة — وكثيرٌ عليه أن يسمى أدباً — شعراً ، وينزله عند النقد منزلة الشعر الغنائي العذب ، وعجبت كذلك كيف يقبل الأستاذ السحرتي — ما دام يعالج أنواع الشعر بأسرها — نوعاً مصطنعاً عرف سبيله الى لبنان بزعامة الأستاذ ألبير أديب وهو « الشعر المنثور » وأسست له مدرسة ومقالون ، وهُني بعض المستشرقين بتتبع هذا الاتجاه الجديد في الأدب العربي « فالشعر الطلق » أقرب الى أسرة النظم من شعر السرياليين المضطرب المنطوي على غير قليل من الاختلال الفكري والاسفاف التصوري والافلاس الخيالي .

ولكن هذه الملاحظات العارضة لا تنتقص من قدر كتاب « الشعر المعاصر » لأنه فتح جديد في أدب النقد العربي ، وخطوة مقتلوعا بلا ريب خطوات أخرى فسيحة ، وثمرة ناضجة تشجع كل من يقدره الى الاستزادة والتشهي .

والأستاذ السحرتي في مباحثه جميعها لم يقلّد ولم يتّبع سُنّة السلف ، ولم يأخذ مقالة الآخرين كقاعدة مسلم بها ، ولم يقيد نفسه بأغلال « الانطوائية الأدبية » ، وإنما بسط أمام نفسه مجالات البحث ، وأفاض في تناول شعاب موضوعه ودقائقه ، واستغرق في لجج من الفريض ، فكان له بعد هذا الجهد الكبير تميّز على من سبقوه من الاتباعيين الناقدين واستأثر بأفضليته على الذين قد يسايرونه ويماشونه .

ان كتاب الشعر المعاصر ، كتاب أصيل ، حوى الجانب ، وحسبه هذا ليكون موضوع مباهاة وتفاخر .

* * *

وقد عوّدنا الأستاذ علي أدهم على أن يجيد طهي الزاد الأدبي ويحسن تقديمه للقراء مصوغاً في قوالب رائعة البيان ناصعة الديباجة مشرقة الطلعة .

أعطه كتاباً عربيّاً قديماً ، أو قدّم له سفراً في الفلسفة الحديثة ، وأرجه أن يلخص هذا الكتاب أو يعرض لك ذلك السفر ، وكن واثقاً بعد ذلك من أن الأستاذ أدهم سيكون خير من ينهض بهذه المهمة وأن قدرته على الهضم والتمثيل لا يجاريه فيها إلاّ الأقلون .

والذين يتتبعون ما ينشره من فصول ومقالات في مجلات الأدب ، يروعهم من الأستاذ أدهم اقتداره وسلطانه على أداته ، وتأصله في استيعاب الثقافات المعاصرة والقديمة . وعند الأستاذ أدهم يحكم وقوفه على الفلسفات الغربية وتضلعه منها ، ملكة التفلسف ، وأحسبه لولا خلّة التواضع لخرج علينا بكتاب يطويه على مذهبه الفلسفي الخاص .

وكتابه الجديد ليس نقداً خالصاً — كما أسلفنا — وإنما هو أخذٌ من كل بسّاط أدبي بقطوف ، وإفاضة في كل مبحث برأي ، ومراجعة القديم بالحديث في مقابلات ومقارنات طليّة ممتعة . وفي هذا كله نرى أثر العين الناقدة النافذة التي عرف بها الأستاذ علي أدهم ، والريشة الصناع التي يحبرها على الطرس ، والذوق السليم الذي يحكم في انتقائه لموضوعاته وفصوله .

وفي كتاب « على هامش الأدب والنقد » توجيهات لحملة الأقلام ، فمن شاء منهم أن

يكتب في السير والتراجم، وجد في هذا السفر بحثاً عن « فن كتابة التراجم » وآخر عن « التراجم في الأدب الحديث » وثالثاً عن « النقد والشخصيات » ومن شاء أن يربط الأدب بالتاريخ أو الأدب بالمجتمع أو الأدب بالسياسة وجد في كتاب الأستاذ أدهم فصولاً مسهبة تعالج هذه الأمور جميعاً. ومن استهواه النقد — ولا سيما نقد الشعر القديم في ضوء علم النفس الحديث — وجد ضالته في هذا السفر لأن للأستاذ أدهم ذهناً مرتباً وروياً متزناً وذوقاً سليماً تمكنه من اصدار أحكام على الشعراء وعلى شخصياتهم ومدى تأثرهم بالعوامل النفسية التي كانت تتنازعهم في عصرهم. وأجل مثال لذلك فصله عن « أبو الطيب المتنبي بين الغرور والطموح والحزن » ففيه تصوير متقن صادق لشخصية هذا الشاعر العربي الكبير.

* * *

وقد يمن للمرء أن يناقش الأستاذ أدهم في ما قاله في صدر كتابه من أن « الناقد كالشاعر يولد ولا يصنع » ففي هذا الرأي — حسب ظني — كثير من المغالاة والتجوز. لأن الناس جميعاً مستعدون على تفاوت في حاسة النقد عند كل منهم، والفرق بين الناقد الملكن والناقد السطحي أن الأول زود نفسه بزاد ثقافي، وغذى عقله بنتاج المعرفة، بينما الآخر قعد عن متابعة التيارات الفكرية فألم به الخذلان والوهن. وهناك كثير من الشعراء يحسبون أنهم ولدوا شعراء ولم يعودوا في حاجة الى مزيد من الاطلاع والدرس. فكان ما آلهم التخلف عن سير الركب، والخور في الطريق لأنهم سرعان ما يكررون أقوالهم ويدورون كالنحلة حول أنفسهم. أما الشعراء الذين استثمروا مواهبهم بالاستزادة من العلم المباح وأبواب المعرفة المفتحة، فأولئك عرفوا كيف يتصدرون الصفوف.

وأعتقد أن النقد مهمة يمكن اكتسابها لأنها حاسة فطرية مغروسة في المرء لا تحتاج إلا الى ترفيتها والاحتفال بها. ووسائل المرء الى بلوغ هذا المأرب أن يثقف في الدرس ويوغل في الاستقصاء، فيربي بذلك هذه الملكة ويجلوها بالمراس والتأني.

وديع فلسطين

كتابان لتعليم الاطفال

لم يعد هناك شك في أن تعليم الطفل على القاعدة القديمة التي كانت متبعة كان عملاً مرهقاً له لا يتفق مع نظم التربية الحديثة ولم يراع فيه نفسية الطفل . لذلك عمد الكثير من رجال التربية والتعليم الى درس هذا الموضوع من شتى وجوهه فهم يضعون الآن أسساً للتربية الحديثة تتفق مع نفسية الطفل في مراحل تكوينه .

وأمامنا كتابان هما نتيجة بحث ودرس يصلان الى هذا الهدف العلمي القويم . أولهما هو « مبادىء القراءة » تأليف الأساتذة الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ومحمد دياب الابراشي وحامد عبدالقادر ومحمد أبو بكر ابراهيم وضعوا فيه طريقة لتعويد التلميذ على تعرف الحروف بالتدريج في كلمات حتى لا يواجه صعوبات كثيرة مرة واحدة ، ولم يتبع فيها الطريقة التقليدية المعروفة وهو تعليم الطفل حروف الهجاء حسب ترتيبها لأنه لا داعي لها من الناحية التربوية . واختاروا في طريقتهم ما أكثر استعماله من الحروف .

* * *

أما الكتاب الثاني وعنوانه « البطاقات الحديثة : قراءة وتعبير » للسنة الأولى الابتدائية والثانية الأولية النموذجية ، ألفه الأساتذة الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ومحمد احمد خليفه وذو الفقار سهران ، ورأتب احمد خليفة . والهدف الذي رمى إليه المربون الأفاضل في وضع هذا الكتاب تمرين التلميذ على القراءة الصامتة والتعبير الشفهي أو التحريري . وقد سمي « البطاقات » ولو لم يكن في صورة بطاقات ، لأن كل موضوع فيه يصلح لأن يكون في بطاقة مستقلة ، ولأننا أردنا أن يستعمل هذا الكتاب بالطريقة الفردية وفقاً لقدرة كل تلميذ على القراءة والتعبير ، وميله الى النوع المقروء .

ومؤلفو الكتابين من خيرة رجال التربية والتعليم المخصوص ، ولذلك نأمل من وراء أهدافهم الى تثقيف الناشئة تثقيفاً صحيحاً . وقد قامت باخراج هذين الكتابين دار « لونجمان جرين وشركاهم » وهي دار نشر كبيرة يتولى توزيع مطبوعاتها في مصر « و . جفري إيدي » .